ويعتبر الذكاء مفهوما افتراضيا تستدل عليه من أثاره، والتي تبدو في السلوك الذي يعبر عن ذلك المفهوم الفرضي، فمنذ بداية ظهور أول اختبار للذكاء منذ أيام ألفريد بينيه 1905، وحتى ظهور نظرية الذكاء الانفعالي 1995 وأدوات قياسه تعددت نظريات تفسير الذكاء ولقد حدد "جاردني" مفهوم الذكاء، في النقاط الأساسية التالية:

- القدرة على حل المشكلات كواحدة من الموجهات في الحياة الواقعية.
- القدرة على توليد حلول جديدة للمشكلات.
- القدرة على صنع شيء ما، أو السعي النافع الذي يكون له قيمة داخل ثقافة واحدة.

كذلك ذكر "جاردني" أن الذكاء يجب ألا يعتبر مجرد سمة للأفراد، لكن الذكاء يمكن تصوره على أنه نتاج العملية الديناميكية، التي تتضمن الكفاءة الفردية، والقيم والفرص التي يمنحها المجتمع. فالاعتقاد السائد هو أن الذكاء في جوهره يستمر مع الإنسان مدى الحياة، وأن التلميذ الذي يمتلك قدرات ذكائية أفضل من غيره تبقى ثابتة لديه، وغير قابلة للتعديل، أو التغيير، ولكن الاعتقاد الحديث للذكاء كما أوضحه جاردني في كتابه (أخر العقل)! أنه لا يمكن وصفه على أنه كمية ثابتة يمكن قياسها، وبناءً على ذلك ليكن زيادة الذكاء وتنميته بالتدريب؛ والتعلم بل أوضح أنه متعدد، وله أنواع مختلفة، وكل نوع مستقل عن الآخر، وينمو ويتطور بمعزلة عن الأنواع الأخرى.

أولاً: مفهوم الذكاء

تعددت تعريفات الذكاء منذ البدايات الأولى لظهور ميدان علم النفس، ومهما كانت تلك التعريفات، فإنها تدور حول طرق تفسير تلك الظاهرة، والتي يطلق عليها أحيانا اسم القدرة العقلية معبرا عنها بنسبة الذكاء، ولذا ظهرت العديد من النظريات التي تفسر ذلك النمو العقلي.

يعَّرف الذكاء، بأنه محصلة لمجموعة من القدرات النفسية، كالإحساس، والإدراك، والإدارة والانفعال والعاطفية، والتذكر، والتصور، والتخيل.

ويعرف وكسلر (Wechsler) الذكاء بأنه: القدرة العامة الشاملة التي تمكن الفرد من

أن يتصرف تصرفاً حسناً، وأن يفكر تفكيراً جيداً، وأن يتكيف مع بيئته بكفاءة وجدارة، وعرَّف ديروبيوم Dearbom الذكاء بأنه: القدرة على اكتساب الخبرة والإفادة منها، أما بنتر Benter عرَّف الذكاء بأنه قدرة الفرد على التوافق بإنجاح العلاقات الجديدة في الحياة.

كما يقول سبيرمان Sperman: أن الذكاء هو القدرة على إدراك العلاقات وأطراف العلاقات، أو القدرة على القيام بعمليات التفكير العليا وخاصة التفكير المجرد، ويعرف أيضًا ألفريد بينيه 1905 الذكاء بأنه: قدرة عقلية عامة تبدو في عدد من القدرات الفرعية المتمثلة في القدرة على التذكر والتفكير والتآزر العربي الحركي وحل المشكلات والمفردات.

كما يعَّرف ثورنديك 1925 الذكاء بأن القدرة على عمل الاستجابات الملائمة، وقد ميز بين ثلاثة أنواع من هذه القدرة، وحتى الذكاء المجرد والذكاء العملي والذكاء الاجتماعي.

ويعرف زكي صالح 1972 الذكاء بأنه مجموعة أساليب الأداء التي تشترك في كل الاختبارات التي تقيس أي مظهر من مظاهر النشاط العقلي والتي تتميز عن غيرها من أساليب الأداء الأخرى وترتبط بها ارتباطا ضعيفاً.

قد اهتم علماء النفس ببحث موضوع الذكاء، فدرسوه دراسة عملية دقيقة، لارتباطه بأساليب السلوك ومظاهر النشاط العقلي، كالتعلم والتفكير، وبواعث السلوك ودوافعه المختلفة. ولقد حاول كثير من علماء النفس تعريف الذكاء في عبارات مختصرة بسيطة عن طريق مظاهره ومن هذه التعريفات:

الذكاء هو قدرة عضوية لها أساس في التكوين الجسماني، ويرجع اختلاف الأفراد فيه إلى اختلافهم في التكوين العضوي، وهذه القدرة بهذا المعنى موروثة، ولا يعني هذا أن الذكاء لا يتأثر بالبيئة بل يتأثر منها.

ومن الواضح أن أنصار هذا التعريف يؤكدون العوامل الوراثية، حيث يرى بينيه Binet أن الذكاء هو قدرة الفرد على الفهم والابتكار، والتوجيه الهادف للسلوك، والنقد الذاتي، بمعنى قدرة الفرد على فهم المشكلات والتفكير في حلها، وقياس هذا الحل أو فقده وتعديله.

أما كلفن Colvin فيعرف الذكاء بأنه القدرة على التعلم أو القدرة على التحصيل، وهذا التعريف أكثر شيوعا وكثيرا ما يستخدم في المحيط المدرسي.

ويعَّرف تاتل 1971 الذكاء بأنه مزيج من السمات الإنسانية التي تشتمل القدرة على استبعاد العلاقات المعقدة، والقيام بالوظائف الذهنية التي يتطلبها التفكير المجرد، والقدرة على التكيف وحل المشكلات واكتساب خبرة جديدة.

ويعّرِّف كلارك 1992 الذكاء بأنه: محصلة الأنشطة الدماغية للفرد في المجالات المعرفية والانفعالية والحدسيه والبدنية الناجمة عن التفاعل بين النمط الوراثي (الجين) الفريد له، وبين المحيط والبيئة، وهو بذلك حصيلة تفاعل بين سمات موروثة وأخرى مكتسبة، ويمكن تقويته أو إعاقته اعتماداً على طبيعة هذا التفاعل، ويرى ثورنديك Thorndike أن الذكاء هو مجموعة القدرات الخاصة المستقلة، كما يعِّرف الذكاء أيضا في معناه العام بأنة تكوين فرضي، يمكن ملاحظته وقياسه من خلال اختبارات الذكاء المقننة، والذكاء لا يمكن ملاحظته بصورة مباشرة إنما نراه في السلوك والتصرفات في المواقف الحياتية المتنوعة، وهو فرض أو افتراضي، بمعنى أننا نفترض وجوده، على الرغم من صعوبة ملاحظته بشكل مباشرة، فهو مفهوم مجرد وليس شيئاً محسوساً أو ملموساً.

وبسبب تنوع المظاهر التي تدل على الذكاء، فقد تعددت تعريفات الذكاء، فالبعض يرى أنه القدرة على التفكير المجرد، ويراه آخرون أنه القدرة على الظروف المحيطة بالإنسان، فهما سريعا وصحيحا، أو القدرة على النفس نحو الأهداف المرجوة من الفرد، في حين يرى البعض الذكاء على أنه القدرة على التحصيل أو حل المشكلات.

ومن هذا يستخلص بعض علماء النفس أن صياغة تعريف بسيط وشامل يقبل به علماء النفس كافة ليس أمراً سهلاً، فقد تعدت التعريفات، واختلفت باختلاف المفهوم الذي يكونه كل منهم حول القدرة العقلية العامة.

ويعزز ساتلر Sattler غموض مفهوم الذكاء وصعوبة الدقة في تحديده إلى كون الذكاء صفة وليس كينونة، بمعنى أن الذكاء لا وجود له في حد ذاته، وإنما هو نوع من الوصف ننعت به فرداً معينًا عندما يسلك بطريقة معينة في وضع معين.

أما ويسمان Wesman، فيرى أن من عوامل غموض الذكاء، هو أن الذكاء نتيجة أو حصيلة الخبرات التعليمية للفرد، حيث يبدو الذكاء نوعا من تتابع أو تسلسل وظائف النمو الثابتة. ويذكر فرنون Vernon أن غموض مفهوم الذكاء قد يعود إلى تعدد وكثرة المعاني المرتبطة به.

وعلى الرغم من غموض مفهوم الذكاء وتعدد بتعريفاته، فإن هناك من يورد تحديد البعض القدرات التي تسود في معظم تعريفات الذكاء وهى:

1- القدرة على التفكير المجرد.
2- القدرة على التعلم.
3- القدرة على حل المشكلات.
4- القدرة على التكيف والارتباط بالبيئة.

ويلاحظ أن جميع هذه الدراسات قد تم دمجها في تعريف واحد أورده استودارد Stoddard، ويفيد بأن الذكاء هو نشاط عقلي تتضح فيه عوامل الصعوبة، والتعقيد، والتجريد، والسرعة، والتكيف، للوصول للهدف والقيمة الاجتماعية والابتكار والاقتصاد في الوقت والجهد والقدرة على الاستمرار في الظروف التي تتطلب تركيز الطاقة العقلية ومقاومة العوامل الانفعالية.

إن هذا التعريف يحدد المميزات التي يجب توافرها في القياس الصحيح والنواحي التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند تصميم اختبارات الذكاء.

ومن التعريفات السابقة التي تعددت فيها تعريفات الذكاء يمكن أن تتوصل إلى تعريف عام من خلال تعريفات العلماء وهو: أن الذكاء هو القدرة العقلية العامة التي توجد في القدرات بدرجات مختلفة، وقد تختلف نسبة الذكاء في القدرة الرياضية، عنها في القدرة اللغوية، عنها في القدرة الميكانيكية، وهنا يساهم الذكاء في كل الأنشطة العقلية التي يقوم بها الفرد.